الهويّة وأثرها في توظيف الشخصيّات الأدبيّة في الأدبَين الفارسيّ والعربيّ

(أنموذجًا أدونيس وأخوان ثالث)

د. سيّد حسين هاشمي*

الملخص

للتراث أهميّة بالغة في الشعر الحديث الفارسيّ والعربيّ، واستلهامه ظاهرة جديدة عند الشعراء المعاصرين، وللتراث وتوظيفه في الشعر الحديث مقاصد ومصادر متنوّعة لا سيّما التراث الأدبيّ الذي يشتمل على شخصيّات الشعراء والأدباء. بناءً على ذلك، تهدف هذه المقالة إلى دراسة الشخصيّات الأدبيّة في أشعار الشاعرين أدونيس وأخوان ثالث، حيث نقارن كيفيّة استدعاء الشخصيّات الأدبيّة ومدى تأثّر الشاعرَين بهويّتهما القوميّة في هذا المسار. نرى من خلال دراستنا هذه أنّ الشاعرَين أدونيس وأخوان ثالث يهتمّان بالتراث الأدبّي على أساس هويّتهما القوميّة من جهه، ومن جهة أخرى نتبيّن أهميّة الشخصيّات الأدبيّة عند الشاعرين على أساس أحصائيّات دقيقة.

مفاتيح البحث: *التراث، الدراسات المقارنة، أخوان ثالث، أدونيس، الشخصيّات الأدبيّة.*

---

* دكتوراه في اللغة العربيّة وآدابها ،إيران
Email: Hossein-h-1359@yahoo.com

توطئة

من المسائل التي شغَلت الدراسات النقديّة المعاصرة، مسألةُ التراث ومدى فاعليّته في التجربة الشعريّة، والمقدار الذي أفاده روّادُ حركة الشّعر الحديث من هذا النبع الثريّ فَهمًا وتوظيفًا، لذا يمكننا القول إنّ المسلك النقديّ والإبداعيّ معًا ينظران إلى التراث على أنّه حلقة التواصل بين هويّة الفرد بماضيها وحاضرها أيْ التواصل الخلّاق بين جيلَين متعاقبَين: هما: الماضي والحاضر، لما بين هذَين الزمنَين من جدليّة مؤثّرة في إطارها التقابليّ الخصب، إذ يرجع الحاضر إلى الماضي يلتمس منه الأصول والجذور، ليتّكئ عليها وينمو من خلالها مستشرفًا آفاق المستقبل، بَيدَ أنّ هذه الروافد التراثيّة ذاتها تخضع لسنن التطوّر العصريّ التي يمليها الحاضر، حتى تكتسب جدارة الحياة في وهج الحاضر، وتصبح قادرة على مواصلة الدفع في الزمن الآتي في آن واحد (عباس، عبد الجبار، ١٩٧٢م، ص ١٧٦).

ومن ثمّ، فإنّ الوعيَ بالهوّية بأبعادها المختلفة ومنها الوعي بالتراث لا يعني وقوف الشاعر عند الأعمال التراثيّة وحفظ نصوصها، وإنّما يعني الغوص في الحالات الشّعوريّة التي كتبت بها هذه التجارب الشعريّة والسعي للتشبّع بها، وهضمها لتترسّب في اللاوعي، ولكنّها تظلّ القوّة الكامنة التي تمدّ الشاعر بدفقات الإبداع لحظة تجربته في الحاضر.

لذلك، إنّ التراث لن يتمّحور في إطار الماضي المنصرم من دون رجعة، وإنّما هو طاقة حيّة تسكن الماضي وتمتدّ إلى الحاضر، فالتراث اعتراف بوجود، اعتراف بشخصيّة لها هويّتها التاريخيّة والنفسيّة، ومن حقّها أن تنمو، وأن تشقّ طريقها وفقًا لظروفها وأرضها وتاريخها (البياتيّ، ١٩٨١م، ص ١٤).

لا شكّ في أنّ التراث يمثّل الذاكرة الحيّة للفرد وللمجتمع، ويمثّل تاليًا هويّة يتعرف بها الناس شعبًا من الشعوب، وهذه الذاكرة أو الهُويّة تمكّننا من فهم العالم، بأنّ تربط بين خبرتنا الراهنة، ومعارفنا السابقة عن العالم وكيف يعمل (www. Diwa-nalarab.com/spip.php?page=article & id_article=23512؛ أيضًا: عليان، لاتا.، ص ٦٠).

إنّ فقدان التراث يعني فقدان الذاكرة، وفقدان الذاكرة يعني فقدان الهُويّة،

فالحفاظ على التراث هو حفاظ على هويّة الأمّة وذاكرتها (المصدر نفسه، ص.ن). والتراث اصطلاحًا هو ما تراكم خلال الأزمان من تقاليد وعقائد وعادات وتجارب وخبرات وفنون وعلوم في شعبٍ من الشعوب، وهو جزء أساسيّ من قوامه الاجتماعيّ والإنسانيّ والسياسيّ والتاريخيّ والخلقيّ يوثّق علائقه بالأجيال الغابرة التي عملت على تكوين هذا التراث وإغنائه (ابن فارس، ١٣٦٦هـ). كما أنّ التراث خُلق للحياة والخلود ليحتضن التجربة ويقدّم الرؤية بأسلوب قوامه التلميح والترميز، واللغة أساسها التفعيل والتكثيف لتشعّ إيحاءً (الرماني، ١٩٩١م، ص ١٣٢)، وبموجب هذا التوظيف تحوّل النّص الشعريّ المعاصر إلى متن مفتوح على مختلف القراءات في ارتباطه بمختلف الأزمنة والأمكنة.

بناء على ذلك، سنتناول في موضوعنا هذا البحث حول الشخصيّات التراثيّة-الأدبيّة التي كوّن من خلالها أخوان هويتَه القوميّة ومن بعد ذلك ندرس كيفيّة استدعاء الشخصيّات التراثيّة-الأدبيّة عند الشاعر أدونيس.

ألف) أخوان ثالث والشخصيّات التراثيّة - الأدبيّة

يتغنّى أخوان بالشعراء الفرس القدماء والحديثين ويمدحهم في أشعاره ويشيد بهم لا سيّما الفردوسي والخيّام وحافظ وسعدي وغيرهم من الشعراء القدماء، وفي أحدى قصائده يخاطب أخوان إيران وتراثها الأدبيّ:

(إيران) أحبُّ كلَّ شعرائك وآثارهم همه شاعران تو و آثارشان را

كحبّي للنسيم العليل في وقت السحر به پاکی نسیم سحر دوست دارم (المصدر نفسه، ص١٥٨)

ويمدح أخوان الفردوسي في هذه القصيدة وقصائده الأخرى أكثر من أي شاعر آخر. لذا سنبدأ الكلامَ عن توظيف شخصيّة الفردوسي وصولًا إلى سائر الشخصيّات والرموز الأدبيّة.

١-١- الفردوسي

ولد الفردوسي في إقليم طوس بخراسان (في إيران حاليًّا). عاش في الحقبة التي

أعقبت ضعف الخلافة العباسيّة. اشتهر بتأليف كتاب "الشاهنامة". يعدّ الفردوسي أكبر شاعر ملحميّ فارسيّ، ويعدّ أيضًا من قادة الحركة الشعوبيّة القائلة بتفضيل الفرس وذمّ العرب. يمجّد الفردوسي في الشاهنامة تاريخ فارس وحضارتها.

تُعدّ الشاهنامة من مراجع اللغة الفارسيّة الحديثة، وأساس الفكر القوميّ الفارسيّ. ونستطيع أن نقارنها بملحمتَي الألياذة والأوديسا لهوميروس. للشاهنامة عند الفرس مكانةٌ عظيمة وهي سجل تاريخهم، وأناشيد مجدهم، وديوان لغتهم. وقد سمّاها لسان الدين بن الخطيب قرآن الفرس. تتحدّث عن ثقافة الشعب الإيرانيّ وعلمه وفنّه وتاريخه القديم، إذًا هي تاريخ ماضي إيران المسجّل على شكل شعر (صفا، ١٣٧٢هـ.ش [١٩٩٣م]، مج١، صص٤٥٨-٥٢١).

وأمّا في ما يتعلق بتأثير الفردوسي وملحمته على شعراء العصر الحديث، فنرى هذا التأثير واسعَ النطاق إذ إنّ بعض الشعراء أمثال ملك الشعراء بهار ورعدي آذرخشي وبديع الزمان وشهريار وناتل خانلري مدحوا الفردوسي في قصائدهم واستلهموا من شخصيته كأحد رموز الأدب الفارسيّ. البعض الآخر أمثال حميد مصدق وأخوان ثالث اهتمّوا أيضًا بشخصيته وحاولوا إعادة بناء الهويّة القوميّة الفارسيّة -التي لطالما اهتمّ الفردوسي بإبرازها- وعبّروا عن ذكر حبهم للفردوسي ونظموا القصائد المستمدّة من توجّهِ الفردوسي ومن الشخصيّات التي وردت في ملحمته (رستكار، ١٣٨٤هـ.ش؛ أيضًا: إسماعيلي، ١٣٩١هـ.ش، العدد ٦٢، ص٢٧-٣٣).

ويقول:

لم نقُل إنَّ الفردوسي النقيَّ النفس	نگويم كه فردوسى پاک جفت
لم يتحدّث بشعوبيّة وشيعيّة	سخن هاى شيعى شعوبى نگفت
ولكن من المؤكّد أنَّ ذلك الشخص الفريد	ولى بى گمانم ان بى نظير
كان كمئةٍ من أسود الغابة	به يک آدمى جامه،صد بيشه شير
كان مدهشًا كرجال الأسطورة	چو مردان افسانه بود و شگرف
كان بحرًا شاسعًا وفاتنًا	يكى بيكران پاک درياى شگرف
أيًّا كان دينه ومذهبه	همانا زهر دين و ملت كه داشت

إلّا أنّ كلّ ما كتبه ورسمه جميل همه هر چه زد نقش، زيبا نگاشت

(أخوان ثالث، ترا اى كهن بوم و بر دوست دارم [أحبك أيها الوطن العريق]، ١٣٩١هـ.ش [٢٠١٢م]، ص٣٠٧)

في القصيدة المذكورة أعلاه يوظّف أخوان شخصيّةَ الفردوسي صاحب الشاهنامة ويقول إنّه صاحب رؤية وفكر شعوبيّ وشيعيّ أي إنّ الفردوسي يهتمّ بالهويّة القوميّة الإيرانيّة والفارسيّة لكنّه أيضًا ذو خصال حميدة، ويقارنه بالرجال الأسطوريّين بعبارة "چو مردان افسانه بود" [كان كالرجال الأسطوريّين]، ويقول أخوان إنّ الفردوسي كان عمله أي نظم الشاهنامة عملًا رائعًا مهما كان دينه وقوميّته. وهكذا يستخدم أخوان شخصيّة الفردوسي ليظهر هويّته وكأنّه يريد إعادة بناء الهويّة الإيرانيّة انطلاقًا من منظور قوميّ في العصر الحديث أي عصر التحدّيات.

ويستمرّ أخوان قائلًا: أنا أيضًا من مواليد طوس مثل الفردوسي ويقول أنا أعرفه معرفةً تامّة وأُتابع نهجه في الحفاظ على القوميّة الإيرانيّة-الفارسيّة:

أنا ابنُ مدينته وأعرفه أيضًا من از شهر اويم، شناساش نيز

أنا مثله تمامًا وأتألم وأعاني (من الأعداء) وأشاركه هم آوا و همدرد و همتاش نيز

في النزعة الإيرانيّة والشعوبيّة به ايران پرستى، شعوبيگرى

ورفض الأعداء والشهره انيران گدازى و گند آورى

والشجاعة، (وأدعو مثله) لنظم الشعر وللنبل سلحشورى و شعر و منش

والبطولة والعمل والتفاعل دليرى و گردى و كار و كنش

(المصدر نفسه، ص.ن.)

كما رأينا في الأبيات المذكورة يصرّح أخوان بأنّه يسير على نهج نظيره الطوسيّ أي الفردوسي الفذّ، ويقول إنَّ حبي لإيران وشعوبيّتي وقوميّتي ومحاربتي لأعداء إيران والإيرانيّين وشجاعتي وبطولتي وشاعريّتي وخصالي كلّها مستمدّة من شخصيّة الفردوسي. ويتمنّى أخوان أن يكون مثله في هذا العصر الحديث للحفاظ على الهويّة القوميّة.

وعلى هذا الأساس، يلقِّبُ الباحثُ الإيرانيّ منصور رستكار الفسائيُّ أخوانَ بلقب

"فردوسی زمان [فردوسي العصر]" (كاخي، ١٣٧٠هـ.ش [١٩٩١م]، ص٧٣)، ويقارن البعضُ أشعارَ أخوان وقصائده بقصائد الفردوسي وأشعاره في الشاهنامة مشيرين إلى التشابه الكبير بينهما من جوانب متعدّدة لا سيّما في ما يتعلّق بالأسلوب (المصدر نفسه، ص٧٢-٧٣).

يعترف أخوان بعجزه في نهاية القصيدة ويقول أنا لست ندًّا للفردوسي، أنا أقلّ منه أثرًا في هذا الطريق لكنّني أحاول أن أحافظ على القوميّة الإيرانيّة ضمن حدود قدراتي:

أخشى ذلك (أن لا يحصل مثل ذلك أبدًا)	از آن بيم دارم (كه هرگز مباد)
أن تحمل الريح خبرًا إلى تربة الفردوسي	برد سوى خاكش خبر پيک باد
وأن يُقرأ له بيتٌ من أبياتي هذه	بخواند از اينها برا و بيتکی
الأبيات التي كلُّ واحدٍ منها أسوأ من الآخر	بترصد ره از پانصدش هريکی
وأن تهتزَّ نفسُ الفردوسي في قبره	بلرزد به خاک اندرون پيکرش
ويتألّم قلبه وينزف	پر از خون شود باز دل در برش

(أخوان ثالث، ترا ای کهن بوم و بر دوست دارم [أحبك أيها الوطن العريق]، ١٣٩١هـ.ش [٢٠١٢م]، ص٣٠٧-٣٠٨)

ويقول أيضًا:

انظرْ روحَ شيخِ مدينةِ طوسَ في الشاهنامة	روح پير توس در شهنامه بين
انظرْ ذروةَ الغيرةِ، وشاهد رستم في أثناء المعركة	اوج غيرت، رستم هنگامه بين

(المصدر نفسه، ص٣٢٤)

يمدح أخوان ثالث نظيره الفردوسي في الأبيات المذكورة أعلاه بعبارات "روح پير توس" [روح شيخ مدينة طوس] و"رستم هنگامه [رستم في زمان الحرب والبطولة]"، ويقارنه برستم الأسطوريّ ويصفه بصفة "اوج غيرت [ذروة الغيرة]"، أي إنّ الفردوسي بسبب غيرته قام بنظم الشاهنامة للحفاظ على الهويّة الإيرانيّة وهكذا يبرز أخوان عشقه للقوميّة الإيرانيّة والفارسيّة من خلال توظيف شخصيّة الفردوسي.

وأيضًا يقول:

أحبّ من الفردوسي ذلك القصر الأسطوريّ الذي ز فردوسی، آن کاخ افسانه کافراخت
شيّده في آفاق الفخر والظفر در آفاق فخر و ظفر دوست دارم
(المصدر نفسه، ١٥٨)

يوظّف أخوان شخصيّةَ الفردوسي في الأبيات المذكورة أعلاه ويصرّح بأنّه يحبّ القصر الأسطوريّ الذي بناه الفردوسي أي الشاهنامة بعبارة "آن کاخ افسانه کافراخت" [ذلك القصر الأسطوريّ الذي شيّده]، والقصر هنا كناية عن الشاهنامة. ويقول أخوان في الشطر الثاني أنا أفتخر بالفردوسي وملحمته.

وفي سياق هذا التوجّه، يقول الباحث سيروس طاهباز إنّ أخوان يلقِّبُ الفردوسي بلقب "شاعر بزرگ [الشاعر الكبير] و"شاعر عجيب صبور" [الشاعر الصبور إلى حد الإعجاب] و"توانای شش بیوری" [الذي يملك إمكانات عشرة آلاف شخص] (طاهباز، ١٣٧٠هـ.ش [١٩٩١م]، ص٨٣). وكلّ هذه الكلمات إشارة إلى عشق أخوان للفردوسي ومحبّته له وإبرازه لهويّته الإيرانيّة والفارسيّة.

ثمّة قصائدة كثيرة يوظّف فيها أخوانُ شخصيّةَ الفردوسي وكتابه الشاهنامة وأبطاله ليبرز عشقه لقوميّته في دواوينه منذ البداية حتى نهاية حياته الأدبيّة وكان يفتخر دائمًا بأنّه من طوس مسقط رأس الفردوسي أيضًا. لقد أسّسَ أخوان أسلوبًا ومدرسةً جديدة في الأدب -كما قلنا سابقًا- انطلاقًا من حبّه للفردوسي ونهجه في إبراز وبناء الهويّة القوميّة الإيرانيّة في هذا العصر.

٢-١- حافظ

هو شمس الدين محمّد حافظ الشيرازيّ الملقّب بلسان الغيب. من أشهر شعراء الأدب الفارسيّ في القرن الثامن في ساحة الغزل. له ديوان اشتهر بسبب براعته في الغزل، وقد تُرجم باللغات الأجنبيّة. كان شعر حافظ متعدّد الجوانب، فتلتذّ به جميع طبقات المجتمع.

إنّ الأدباء الفحول هم من عباقرة الناس، ولهم حياة مختلفة، فكان من الطّبيعي أن يؤثّروا في حياة الآخرين وشخصيّاتهم. وإنّما يُعدُّ حافظ من هؤلاء الأدباء العبقريّين، فقد ألقى أمواجًا عظيمة في بحر المعرفة والأدب، وأثّر في شخصيّة الأدباء الكبار

وآثارهم.

يقول عنه أخوان في قصيدة "اى شيراز" [يا شيراز]:

إسلامي ليس من مكّة ومن أرض العرب نيست اسلامِ من از مكّه و از خاک عرب
فإنّي مجوسيٌّ ومومنٌ بك يا شيراز گبركى نيمه مسلمانِ توام اى شيراز
وإنّما قد علّمني حافظ طريقة الإسلام حافظ آموخت به من راهِ مسلمانى را
فإنّي خادم حافظ القرآن فيك يا شيراز چاكرِ حافظ قرآن توام اى شيراز

(أخوان ثالث، ترا اى كهن بوم و بر دوست دارم [أحبك أيّها الوطن العريق]، ١٣٩١هـ.ش [٢٠١٢م]، ص١٤٨)

يوظّف أخوان أبرز الشخصيّات الأدبيّة لا سيّما حافظ الشيرازيّ ليبرز من خلاله هويّته الفارسيّة والإيرانيّة عندما يقول إنّ إسلامي ليس من مكّة بل إسلامي من أرض فارس من مدينة شيراز وهي مركز محافظة فارس ومركز الحضارة الفارسيّة أي المركز الأساسيّ لظهور الهويّة الإيرانيّة. ويخاطب أخوان حافظ ويقول تعلّمت طريقة الإسلام من حافظ، بعبارة أخرى يرفض أخوان الهويّة العربيّة وحتى الدين الإسلاميّ ويريد هويّةً بلون إيرانيّ حتى في العقائد الدينيّة حيث يستخدم في هذا الصدد عبارة "گبركى نيمه مسلمانم توام اى شيراز [مجوسيّ أنا لكن في إطار إسلامك يا شيراز]".

الجدير بالذكر أنّ حافظ الشيرازيّ يحفظ القرآن الكريم ولقد قرأه بلهجات متعدّدة، حيث أشار أخوان في الأبيات المذكورة أعلاه "چاكر حافظ قران توام اى شيراز [فإنّي خادم حافظ القرآن فيك يا شيراز]". وهكذا يريد أخوان إبراز هويّته الدينيّة والصوفيّة أيضًا لكنّها بلون فارسيّ وإيرانيّ لأنّه يعد حافظ من الشخصيّات المتصوّفة أيضًا في الثقافة الإيرانيّة إلى جانب عبقريّته في الشعر.

نظم أخوان القصيدة المذكورة أعلاه في العام ١٣٦٢هـ.ش [١٩٨٣م]، حينما زار أخوان مدينة شيراز وزار مقبرة حافظ الشيرازي ويقول فيها:

كانت غربةُ ضريحِ حافظ كسحابة سوداء غربت تربت حافظ چه سيه ابرى بود
يا شيراز! السماء كانت شاهدةً على بكائي عليكآسمان ديد كه گريان توام اى

شـيراز (المصـدر نفسـه، ص١٤٨)

يرثي أخوان في البيت المذكور أعلاه حافظ عند قبره ويشعر بالحزن الشديد وسمّى تربته "تربت غريب" [التراب الغريب]، ويصف هذه الغربة بـ"ابرسياه" [السحابة سوداء]، ويبكي على قبره كأنّه يبكي على تراثه المنسيّ وهويّته الضائعة. ويستمرّ أخوان في كلامه مقارنًا بين شخصيّة الفردوسي وشخصيّة حافظ الشيرازي بصورة رمزيّة قائلًا:

أنا شيخ مدرسة الفردوسي والخيّام لكنّني پیر پرورده فردوسی و خیامم لیک

رضعتُ الحليبَ من ثديك يا شيرازُ شیرها خورده ز پستان توام ای شیراز

(أخوان ثالث، ترا ای کهن بوم و بر دوست دارم [أحبك أيها الوطن العريق]، ١٣٩١هـ.ش [٢٠١٢م]، ص ٣٢٧)

يخاطب أخوان نفسه في الأبيات المذكورة أعلاه ويوظّف شخصيّة الفردوسي والخيام ليشير إلى هويّته الخراسانيّة ويعترف بأنّه وإن كانت نشأته خراسانيّة وعلى الرغم من تأثّره بتعاليم الفردوسي والخيّام بعبارة "پیر پرورده فردوسی و خیام" [النشأة والتربية على نهج الفردوسي والخيّام] لكنّه اكتسب كثيرًا من آرائه وعقائده من مدينة شيراز أي من حافظ الشيرازي فيرمز إلى حافظ وتعاليمه بعبارة "شیرخورده از پستان شیراز [أرضع الحليب من ثدي شيراز]".

هكذا، أشار الشاعر إلى هويّته القوميّة الفارسيّة والإيرانيّة في الأبيات التالية إلى جانب هويّته الفرديّة الخراسانيّة كأنّه يريد الجمع بين الهويّة الفرديّة والقوميّة الفارسيّة والإيرانيّة من خلال الشخصيّات الأدبيّة وتراثهم الخالد في ذاكرة الإيرانيّين.

يبالغ أخوان في مدح حافظ الشيرازيّ في قصيدة بعنوان "در ستایش حافظ [في مدح حافظ]" حيث يقول:

بعيدًا عنك، عشقت الغريبَ

دور از تو، با حریفی بیگانه می زدم دوش

وكنت في لجّة الهمّ، وأصبح القلب ثملًا برؤية الحبيب

من غرق لجه ی غم،دل مست آشنا شد

لا يستأنس قلبي بأحد، لكنّي أراك على سطح بيتي
دل تن به كس نمى داد، امّا ترا لب بام
وعندما رأيتك هربت الحمامة هذه من يدي
تا ديدم اين كبوتر از دست من رها شد
يا أميد! دعِ الحديث عن هذا الرجل الربانيّ وأغْلِق المصحف
زين ايزدى سخن بس،مصحف ببندد اميد
حتّى لو أصبحنا آلهةً لا يمكننا أن نكون مثل حافظ
حافظ نمى توان شد،گيرم خدا توان شد
(أخوان ثالث، ارغنون [الناي]، ١٣٩١هـ.ش [٢٠١٢م] ص ١٥٢-١٥٣)

يشرح لنا أخوان في القصيدة القصيرة المذكورة أعلاه تحوّله وابتعاده عن الهويّة الأجنبيّة ويخاطب هويّته بأكملها ويعبّر عن ألم الفراق وحزنه على هويّته المفقودة بعبارات رائعة: "دور از تو[بعيد عنك] و"با حريفى بيگانه" [ومع الأجانب] و"من غرق لجه ى غم" [وغريق أنا في لجة الحزن]، ويستمرّ في سلوكه نحو الهويّة القوميّة ويصف مدى فرحه وبهجته بعد الوصال وتعرّف هويّته الحقيقيّة بأنّه إنسان مبتهج وثملٌ من رؤية الحبيب بعبارة "دل مست آشنا شد [أصبح القلب ثملًا برؤية الحبيب]".

لعلّ القارئ يتساءل مَن هو هذا الشخص الذي يشيدُ به أخوان إلى هذا الحدّ؟ نراه يُفصح عن ذلك في البيت الأخير حيث يخاطب أخوان القارئ ونفسه أيضًا بأنّ من المستحيل الوصول إلى درجة حافظ وأفكاره وشخصيّته حتى ولو أصبحنا آلهةً. ويريد بهذة الطريقة بيانَ وإظهار محبّته لحافظ الشيرازيّ رمزًا من رموز الهويّة الإيرانيّة. وفي سياق هذا التوجّه، نرى اهتمام أخوان بهذه الشخصيّة وإنْ بصورة عابرة من خلال إشارة إلى بعض أبياته. وفي قصيدة " نماز "(الصَّلاة) هناك تناصّ مع بيت لحافظ الشيرازيّ. يقول حافظ في بيته:

اجلسْ طرفَ النهرِوشاهدْ ممرّ العمر بنشين برلبِ جوى و گذر عمر ببين
فهذه إشارة تكفينا من العالم الفاني كاين اشارت ز جهانِ گذرا ما را بس

(حافظ، ديوان، ١٣٨٧هـ.ش [٢٠٠٨م]، ص١٩٣)

فيقول أخوان متأثرًا بهذا البيت لحافظ:

قمتُ من مكاني — خاستم از جا

وذهبتُ نحو النهر، ما الذي يجري — سوى جورفتم، چه می آمد

أهو الماء أم لا، — آب یا نه،

ما الذي يجري؟ كما قال حافظ: عمرك هو الذي يجري چه می رفت، هم زانسان که حافظ گفت، عمرِتو

(أخوان ثالث، از این اوستا [من هذا الأفستا]، ١٣٩١هـ.ش [٢٠١٢م]، ص٨٣)

نرى في الأبيات المذكورة أعلاه مدى تأثّر أخوان بحافظ الشيرازيّ على أساس هويّته الفرديّة والقوميّة حيث يشير إلى أبيات من ديوان حافظ بصورة عابرة. هكذا، يتغنّى أخوان بشخصيّة حافظ الشيرازيّ ويبرز هويّته من خلال توظيفه بصور متعدّدة ويمدحه ويشيد به رمزًا من رموز الهويّة القوميّة.

٣-١-الخيّام:

غياث الدين أبو الفتوح عمر بن إبراهيم الخيام المعروف بعمر الخيام. الخيّام هو لقب والده، حيث كان يعمل في صنع الخيام. وُلِدَ في مدينة نيسابور خراسان في إيران ما بين العامَين ١٠٣٨ و١٠٤٨م، وتوفّي فيها ما بين العامَين ١١٢٣ و١١٢٤م، تخصّص في الرياضيّات، والفلك، واللغة، والفقه، والتاريخ. وهو صاحب الرباعيّات المشهورة (حسن لي، وحسام بور، ١٣٨٨هـ.ش [٢٠٠٩م]، العدد ١٤، ص٩٩-١٢٦). لقد أثّرت أفكار الخيّام وآثاره في الشعراء الفرس والعرب منذ بزوغ مواهبه حتى الآن. في الأدب الفارسيّ الحديث نرى اليوم تأثّر الشعراء بأفكار الخيام النيسابوري وأشعاره ومن جملتهم: "حميد الشيرازي" و"ميزاده عشقي" و"شهريار" و"أخوان ثالث" (سرامي، قدمعلي و رضائي بروين، ١٣٩٢هـ.ش [٢٠١٣م]، العدد ١، ص٢٥-٤٠؛ أيضًا: محسني نيا، ناصر، ١٣٨٩هـ.ش [٢٠١٠م]، العدد ٣، ص١-٢٠).

أمّا في ما يتعلّق بأخوان ثالث ومدى تأثّره بالخيام، فنرى أنّ "مرتضى كاخى" و"هوشنگ گلشيرى" يصفان أخوانَ بعبارة "رندى از تبار خيام" [متمرّدٌ من

سلالة الخيّام] (http//www.kalam.se/t-akhavan-05-rend.htm تاريخ دخول الموقع: ٢٠١٨/٣/٢٤) وقد أشار أخوان إلى هذا الموضوع في قصيدةٍ بعنوان "قصه ناتمام" [قصة بلا نهاية]:

نحن عبيدٌ في ديار العشق والدم ما در ديار عشق و خون سرسپرده ايم
نحن نقينا مرآة أرواحنا من صدى العقل زنگ خرد ز آيينه جان سترده ايم
نحن مجانين حانة العشق والحيرة ما هم خراب ميكده عشق و حيرتيم
إلى أن شربنا جرعات حافظ والخيّام ته جرعه هاى حافظ و خيام خورده ايم

(أخوان ثالث، مهدي، أرغنون [الناي]، ١٣٩١هـ.ش [٢٠١٢م]، ص٧١)

يوظّف أخوان شخصيّة الخيام النيسابوري إلى جانب شخصيّة حافظ الشيرازي في الأبيات المذكورة أعلاه ويقول أنا من محبّي ديارهما وطريقتهما في الحبّ والعشق واللوعة، ويقول أنا شربت ثمالة كأسيهما بعبارة "ته جرعه هاى خيام نوشيده ام" [شربت ثمالة كأسَي حافظ والخيام]، وكلّ ذلك إشارة إلى تمسّك أخوان ثالث بالتراث (المقصود هو التراث الأدبيّ الذي خلّفه أمثال الخيّام وحافظ) وبالهويّة القوميّة من خلال توظيف الشخصيّات الأدبيّة (شرب من كأس الخيام أي إحياء أفكاره في هذا العصر).

وفي قصيدة بعنوان "روى جاده نمناك [على الطريق الرطبة] يمدح أخوانُ الكاتبَ الإيرانيَّ الشهيرَ صادق هدايت ويخاطبه بلقب "مست راستين خيام" [المحبّ الحقيقيّ للخيام] هكذا:

سلام منّي للذكيِّ الخالد في قرنِنا هذا درودى ديگر بر هوش جاويد قرن
والحيرة العصيّة على الدهور وحيرت عصيانى اعصار
وإلى المتمرّد على كل العالم، وإلى المحب الحقيقيّ للخياما
برند همه آفاق، مست راستين خيام؟

(أخوان ثالث، از اين اوستا [من هذا الأفستا]، ١٣٩١هـ.ش [٢٠٣٢م]، ص٥٤)

يستخدم أخوان شخصيّة الخيّام بصورة عابرة في البيت المذكور أعلاه رمزًا من رموز الأدب الفارسيّ ويرى فيه ذروة العصيان والحيرة إلى حدٍ يخاطب فيه أخوان

شخصيةً رئيسيّة في القصيدة أي "صادق هدايت" بأنّه في هذه الدرجة من التمرّد أقلّ من الخيّام، وأصبح هو مريدًا صادقًا للخيّام في طريق التمرّد والبحث عن الهويّة. وهكذا يوظّف أخوان شخصيّة الخيّام القدوة والنموذج لمن يريد البحث الحقيقيّ عن هويّته.

يسمّي أخوانُ نفسَه "سبوى هم مشرب خيام [جرّةٌ من منهلِ الخيّام نفسه] في ديوانه "سه كتاب [الكتب الثلاثة] (أخوان ثالث، سه كتاب [الكتب الثلاثة]، ١٣٩١هـ.ش [٢٠١٢م]، ص١٦٢)، وفي ديوانه "ترا اى كهن بوم بر دوست مى دارم" [أحبّك أيها الوطن العريق] يتغنّى به ويسمّيه "خشم و خروش جاويدان" [الغضب والنهضة الخالدة] (أخوان ثالث، ترا اى كهن بوم و بر دوست دارم [أحبك أيها الوطن العريق]، ١٣٩١هـ.ش [٢٠١٢م]، ص١٥٨) و"ابررند همه آفاق" [المتمرّد على كلّ العالم] و"خورشيد نيشابور" [شمس نيسابور] و"هوشيار ترين مست مستان عالم [الثمِلُ الأكثر ذكاءً بين السكارى في العالم] (أخوان ثالث، مهدي، از اين اوستا [من هذا الأفستا]، ص١١٨) ويقول إنَّ الشعر الحقيقيّ هو شعر الخيام النيسابوريّ:

اِذهبْ وأقرأ ديوان الخيام رو بخوان خيام را تا بنگرى
كي تفهم المعنى السامي للشعر والشاعريّة معنى والاى شعر و شاعرى

(أخوان ثالث، مهدي، ترا اى كهن بوم و بر دوست دارم [أحبك أيها الوطن العريق]، ١٣٩١هـ.ش [٢٠١٢م]، ص٣٢٣)

الجدير بالذكر أنَّ أخوان في استدعائه لشخصيّة الخيّام النيسابوري في الأبيات والقصائدة السابقة جعله رمزًا للبحث عن الحقيقة والهويّة في المستوى الفرديّ والإنسانيّ من جهة، ومن جهة أخرى يجعل أخوانُ الخيّامَ رمزًا للتراث الأدبيّ الخاصّ بالإيرانيّين ويدعو الجيلَ الحالي وأجيال المستقبل لقراءة ديوانه واكتساب المعاني العالية منها.

٤-١-سعدي:

هو مشرّف الدين بن مصلح الدين سعدي. وتخلّص في شعره باسم «سعدي»، وهو نسبة إلى سعد بن زنكي حاكم شيراز، ويُسبَق اسمه بلقب «الشيخ». هو

شاعر ومتصوّف فارسيّ، تميّزت كتاباته بأسلوبها الجزل الواضح وبالقيم الأخلاقيّة الرفيعة، نظم الشعر بالفارسيّة والعربيّة، ومن أشهر آثاره: «گلستان [روضة الورود]» و«بوستان[البستان]» (صفا، ١٣٦٩هـ.ش [١٩٩٠م].

في العصر الحديث تغنّى الكثيرون من الشعراء الفرس بسعدي وتأثّروا به في الشكل والأسلوب والمعنى. أمّا في ما يتعلق بأخوان ثالث فهو يوظّف شخصيّة سعدي الشيرازيّ في قصائد عدة ومنها قصيدة بعنوان "اى شيراز[يا شيراز]":

يا شيرازُ! أُقبّلُ ترابَ قدم سعدي [ك] العذب الكلام خاكبوس قدم سعدى شيرين سخنت

أنا شوكٌ في بستانك و گلستانك يا شيرازُ خار بستان و گلستان توام اى شيراز

إنَّ قلبي يحترق من سكون قبر سعدي دلم از خاموشى مقبره سعدى سوخت

ذلك القائل: شيرازُ! أنا نجمك الساطع آنكه گفت: اخترتابان توام اى شيراز

(أخوان ثالث، مهدي، ترا اى كهن بوم و بردوست دارم [أحبك أيها الوطن العريق]، ١٣٩١هـ.ش[٢٠١٢م]، ص١٤٨)

في الأبيات المذكورة أعلاه، يوظّف أخوان شخصيّة سعدي الشيرازيّ ويصفه بعبارة: "سعدى شيرين سخن" [سعدي العذب الكلام]، ويقول مشيرًا إلى سعدي الشيرازيّ أنا شوك بستانك وگلستانك وهكذا أشار إلى دواوين سعدي بصورة الكناية، ونراه يبكي على قبره ومطالبًا الحكومة بالاهتمام بمقبرة سعدي ويصفه بـ "اخترتابان شيراز[نجم شيراز الساطع] ويعدّ نفسَه عبدًا لسعدي قائلًا أُقبّلُ أقدامك وتربتك كأنَّ الشاعر يبكي على زاوية من زوايا الهويّة القوميّة الإيرانيّة ويدعو للاهتمام بها والحفاظ عليها من خلال استخدام شخصيّة سعدي.

وفي قصيدة بعنوان "آمدم ديگر؛ همين حالها و حكايتها" [جئتُ أخيرًا؛ الأحوال نفسها والحكايات نفسها] يصف أحد أصدقائه في السجن ويتكلّم عمّا جرى عليهما في السجن حيث يقول:

في فناء السجن الهامد الصغير در حياط بى نشاط و كوچک زندان

مشينا ومشينا باز مى رفتيم و مى رفتيم

حيث كنّا في معظمنا صامتين لكن أحيانًا بيشتر خاموش و گاهى نيز

كنّا نتحدّث عن مدينة الرّي وروما وبغداد از ری و روم و بغداد می گفتیم
(أخوان ثالث، مهدي، سه كتاب [الكتب الثلاثة]، ١٣٩١هـ.ش [٢٠١٢م، ص٢٠١)

في خلال القصيدة المذكورة أعلاه يوظّف اخوان شخصيّة سعدي الشيرازيّ ويقارن بين سعدي وصديقه في السجن ويقول:

مع أنّني أعلم -رأيتُ عدّة مرات گرچه می دانم - شنیدم بارها
في سلوكه- وكلامه أنَّ العبادةَ گفتارها و دیدم کار و کردارش-

بحسب قول سعدي هي في خدمة َالناس كه عبادت را همان خدمت كه سعدی گفت، می دانست (المصدر نفسه، ص٢٠٣)

يذكر أخوان اسمَ سعدي في البيت المذكور أعلاه ويقول إنَّ صديقي أفكاره وتصرفاته وعقائدة مستمدّة من أفكار سعدي الشيرازيّ ويعتقد أنّ العبادةَ الحقيقيّة هي خدمة البشريّة والإنسان.

وفي الشطر الثاني (كه عبادت را همان....) [أنّه ....يعدُّ العبادةَ أيضًا.....] أشار إلى ما ورد في بوستان سعدي حيث قال سعدي الشيرازيّ:

ليست العبادةُ سوى خدمةِ خلقِ الله عبادت بجز خدمت خلق نیست
وليست العبادةُ تسبيحًا وسجودًا ولباس الدراويش به تسبيح و سجاده و دلق نیست
(سعدي، ١٣٦٩هـ.ش [١٩٩٠م]، ص٥٥)

إنّ التأثير واضح إلى حدّ التناص. وفي قصيدة أخرى يوظّف شخصيّة سعدي الشيرازيّ إلى جانب كبار الشعراء الفرس حيث يقول أخوان:

أحبّ في سعدي وحافظ والنظامي ز سعدی و از حافظ و از نظامی
كلَّ أشواقهم وأشعارهم ومسامراتهم همه شور و شعر و سمر دوست دارم

١. (أخوان ثالث، مهدي، ترا ای کهن بوم و بر دوست دارم [أحبك أيها الوطن العريق]، ١٣٩١هـ.ش [٢٠١٢م]، ص١٥٨)

في البيت المذكور أعلاه يستخدم أخوان أسماء ثلاثة من كبار الشعراء الفرس أي سعدي الشيرازيّ وحافظ الشيرازيّ ونظامي ليبرز هويّته القوميّة والفارسيّة حيث يقول أنا أحبّ في هولاء الشعراء أحاسيسهم الجيّاشة وأشعارهم ومسامراتهم.

ومن المفيد أن نذكر هنا حبَّ أخوان وعشقه لسعدي الشيرازيّ الذي عبّر عنه على لسانه بعد زيارة مقبرته حيث خاطب الحكومة الحاليّة والأمّة قائلًا:

"في هذا الزمن احترق قلبي، انتابني البكاء. قبر سعدي حيث عشاء الغرباء. سألت لماذا هذه القناديل لا تضيء؟ فكم لدينا مثل سعدي وحافظ؟ هل أساء هولاء الكبار إلى الثقافة العالميّة وإلى ثقافة إيران الإسلاميّة أم خدموها؟ ماذا فعلت وزارة الثقافة والفنون (الإرشاد الإسلاميّ) بأوقاف هذه المقابر المباركة والعزيزة؟ وقدمتُ مالًا كي يضيئوا على الأقل شمعة واحدة تحت قناديل مقبرة سعدي المنسية" (المصدر نفسه، ص ١٥١). هكذا، يريد أخوان الحفاظ على التراث الأدبيّ كجزء من الهويّة القوميّة الفارسيّة والإيرانيّة وهذا ما يريده من الأمّة الإيرانيّة والحكومة الإيرانيّة أيضًا.

وفي سياق متصل، نرى عدد المرّات التي وظّف فيها الشخصيّات الأدبيّة في الجدول الآتي:

	الشخصيّات الأدبيّة المستمدّة من التراث الفارسيّ	عدد الأمثلة والشواهد
١	الفردوسي	٨
٢	حافظ الشيرازيّ	٨
٣	سعدي الشيرازيّ	٢
٤	الخيام النيسابوريّ	٨
٥	المولوي جلال الدين البلخيّ	٢
٦	عبيد زاكاني	١
٧	حريري	١
٨	بديع الزمان	١
٩	حميدي (عبدالحميد الكاتب)	١
١٠	عطار النيسابوريّ	٢
١١	نظامي	١

١٢	مسعود سعد	١
١٣	قاآني	١
١٤	معزّي	١
١٥	أنوري	٢
١٦	عنصري	١
١٧	سوزني السمرقنديّ	٢
١٨	بابا طاهر	١
	مجموع الشواهد	٤٤

يُبيِّنُ الجدولُ المذكور أعلاه أنّ أخوان اهتم بشخصيّة الفردوسي وحافظ والخيام أكثر من سائر الشخصيّات الأدبيّة وهكذا يبيّن لنا هويّته الفرديّة وهي هويّة قريبة من الفردوسي أي إنّها قوميّة وشعوبيّة ومن جهة أخرى هو قريب من الخيّام وحافظ الشيرازيّ أي إنّه يريد خلق عالم شعريّ فريد ذي روحيّة متمرّدة، فهو يعد رباعيّات الخيام فريدةً في الأدب الفارسيّ وقد اكتسبت شهرة عالميّة شرقًا وغربًا، وفي المجموع ذكر أخوان ٤٤ مرة أسماء الشخصيّات الأدبيّة من التراث الفارسيّ.

ب)أدونيس والشخصيّات التراثيّة - الأدبيّة:

تظهر الشخصيّة الأدبيّة في نصّ أدونيس تعبيرًا مهمًّا عن جزء كبير من شخصيّة الشاعر نفسه وتنساق في محاولتها لترسيخ رؤيته للهويّة بمختلف عناصرها لا سيّما الهويّة القوميّة، وتكمن أهميّتها في استجلاء الحقب والأزمنة العربيّة التي تكتظّ بالدلالات المتعدّدة التي تحملها شخصيّة الأديب والفنّان والمبدع إزاء صورة الواقع السياسيّ والاجتماعيّ والثقافيّ.

تمثّل المرجعيّة الثقافيّة الأدبيّة العربيّة المنبع الرئيس في حضور الشخصيّة الأدبيّة في نصّ أدونيس إذ تمثّل السمة الغالبة أمام المرجعيّات الثقافيّة العالميّة الأخرى التي تشكل حضورًا هامشيًّا أمام سقف الحضور الثقافيّ الأدبيّ المبدع

في التراث العربيّ، بينما تحتلّ شخصيّات الشعراء المقدّمة في الحضور على نحو يعكس مدى انشغال النصّ الأدونيسيّ بموضوعيّة الشاعر وجودًا وهويّةً أمام كلّ التناقضات والأسئلة في فجوات الثقافة العربيّة، فلا ينزاح دلاليًا في الحدود المعجميّة والسياقيّة وإنما تنزاح الرموز عند دلالاتها لتولّد دائمًا دلالات جديدة (عزام، ٢٠٠٨م، ص ٣٩١). نحن نزعم هنا أنّ ما من نصّ شعريّ عربيّ استطاع أن يحشد كلّ هذا العدد من شخصيّات الشعراء في قصيدته في دلالة أكيدة على مستوى الغوص في أعماق التراث العربيّ وفي تأكيد مدى الرؤيا المستبصرة بوحي الماضي وهي تحاكم النصّ الشعريّ المعاصر وتسعى إلى ترسيخ معتقداته وأدواره (درويش، ١٩٩٧م، العدد ٢، ص ٣١١)، فاستحقّ أن يكون موقفه من التراث إشكاليًا اختلفت وتباينت حوله الرؤى ووجهات النظر (تاوريريت، ٢٠٠٩م، ص٨).

بناءً على ما سبق، نبدأ بتحليل هذا الحضور للتراث الأدبيّ من خلال الشخصيّات وصولًا إلى سائر المظاهر الأدبيّة التي تتجلّى من خلالها هويّة الشاعر القوميّة. نرى حضور الشعراء في أعمال أدونيس الشعريّة الكاملة كما يلي:

١-١-أبو العلاء المعرّي[١]:

أُعجب أدونيس بموقف أبي العلاء من العالم ويستحضر في قصيدة "مرآة لأبي العلاء" شخصيّة أبي العلاء ليبرز هويّته القوميّة-السوريّة بصورة غير مباشرة حيث يقول:

أذكر أنّي زرتُ في المعرّة
عينيكَ، أصغيتُ إلى خطاك
أذكر أنّ القبر كان يمشي مقلدًا خُطاك
وكان حول القبر
صوتك

١. أبو العلاء المعرّي (٣٦٣- ٤٤٩هـ) (٩٧٣-١٠٥٧م) هو أحمد بن عبد الله بن سليمان القضاعيّ التنوخيّ المعرّيّ، الشاعر والفيلسوف واللغويّ والأديب العربيّ في عصر الدولة العباسيّة، ولد وتوفّي في معرّة النعمان في الشمال السوريّ وإليها يُنسب. لمزيد من الاطّلاع، انظر: ابن خلكان، وَفَيات الأعيان وأنباء الزمان، دار الرائد العربيّ، بيروت، لبنان، ١٩٧٥م. أيضًا: حسين، طه، مع أبي العلاء في سجنه، دار المعارف، مصر، ٢٠١٣م.

مثل رجةٍ ينام
في جسد الأيام أو في جسد الكلام
(أدونيس، الأعمال الشّعريّة الكاملة، ١٩٩٦م، مج٢، ص٤٩٩)

وفي القصيدة المذكورة نرى أدونيس الشاعر زائرًا للمعرّة وهي مدينة أبي العلاء، ونجده يستخدم شخصيّة أبي العلاء حيث أشار إلى عينيه مستخدمًا لفظ "عينيك" للدلالة على هويّته الشخصيّة لأنّ كلاهما شاعر ومتمرّد. كذلك يريد أدونيس أن يمشي على خطاه ويسمع صوته في كلّ مكان. يقول "حسن معلا": "من الحقّ أن يعجب بهذا الصوت الفريد في الشعر العربيّ، وهذه الشخصيّة العبقريّة الحرّة صاحبة الفلسفة الحياتيّة التي قالت كلمتها بشجاعة" (معلا حسن، ٢٠٠٨م. ص٨٢)، وهذا الصوت ليس صوتًا عاديًّا بل هو صوت الهويّة والثقافة التي تتغلغل في جسد الأيام. كأنَّ الشاعر يريد إعادة الهويّة القوميّة التي يرمز بها إلى الجسد المكانيّ أي الشام ومدينه المعرّة، والجسد المعنويّ أي اللغة العربيّة حيث يشير إليهما بعبارتَي "في جسد الأيام... وفي جسد الكلام" كركنين من أركان القوميّة.

٢-١-المتنبّي[١]:

لم يكتف أدونيس بهذا بل ينتقل من أرض الشام والمعرّة (الهويّة الشاميّة) إلى بغداد (الهويّة القوميّة العربيّة) فقام بزيارة المتنبي الذي احتلّت شخصيّته حيّزًا من نصّ أدونيس منذ بواكيره وكما سلف القول حتى (الكتاب أمس المكان لأدونيس) متنقّلًا في دلالاته المتعدّدة التي لا تلبث أن تعود الى مركزها في ذات الشاعر أدونيس فيبدو المتنبي إكسيرًا لتقلّبات الهويّة والشعر والدهر ولوجود الشاعر والحياة معًا في ثنائيّة متجدّدة ومتعدّدة في تجلّياتها وتفاوتها بين الشاعرَين رمزًا وتعبيرًا وفهمًا. يقول أدونيس:

ألهو مع بلادي

١. هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي أبو الطيب الكنديّ الكوفيّ المولد، نسب إلى قبيلة كندة نتيجة لولادته بحيّ تلك القبيلة في الكوفة لانتمائه لهم. عاش أفضل أيام حياته وأكثرها عطاءً في بلاط سيف الدولة الحمدانيّ في حلب وكان من أعظم شعراء العرب، وأكثرهم تمكّنًا من اللغة العربية وأعلمهم بقواعدها ومفرداتها، وله مكانة سامية لم تُتَح مثلها لغيره من شعراء العربية. للمزيد من الاطّلاع حول المتنبي وحياته، انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، مج١، ص ١٢٠.

ألمح مستقبلها آتيًا في أهداب النعامة، أداعب تاريخها وأيامها وأسقط
عليها صخرة وصاعقة، وفي الطرف الآخر من النهار أبدأ تأريخها
غريب عنكم أنا وفي الطرف الآخر، أسكن بلادًا خاصّة بي، وفي النوم
واليقظة افتح برعمًا وأعيش فيه
(أدونيس، الأعمال الشعرية الكاملة، ١٩٩٦م، مج١، ص ٢٤٣.)

في هذه الأبيات يوظّف أدونيس شخصيّة المتنبي بصورة غير مباشرة مستخدمًا عبارة "غريب عنكم أنا" حيث أشار إلى تشرّد المتنبي بعد ظهور الفراق بينه وبين سيف الدولة، ويشعر القارئ بغربة المتنبي وكأنّها غربّة أمّته العربيّة بأكملها عن هويّته وأرضه في عصر العولمة وتحدّياته. ويستلهم نصّ أدونيس السابق موضوع عدم الانتماء والهويّة في العالم العربيّ حيث يشير بشكل إبداعيّ إلى مرجعيّة الشعر في شخصيّة المتنبي القائل:

ما مقامي بأرض نخلة إلّا كمقام المسيح بين اليهودِ
أنا في أمّة تداركها اللهُ غريب كصالح في ثمودِ
(المتنبي، ١٩٨٠م، مج٢، صص ٤٤ - ٤٨)

إلّا أن هذه الصورة الجزئيّة المتناثرة لحضور شخصيّة المتنبي ستتخذ شكلًا أساسيًّا في صلب نظرة أدونيس للتراث العربيّ ثقافةً وأدبًا. إنّ أدونيس يتداخل مع المتنبي في (الكتاب أمس المكان لأدونيس) في رؤية واحدة للزمان الذي لا ينفصل فيه الوجع العربيّ عن الشاعرين، فهو زمن للسقوط الدامي الذي يثقب ذاكرة الأمّة إلّا من كوكب الشعر كما يعبّر:

"زمن للسقوط وشعري هدّامه الرّجيم
المدائن ممهورة
بخواتم أنقاضها،
والدروب الى كل أرضٍ
وهن، أو دم، أو غضب
وأنا لا أقص الشقاء .وأنفر من وصفه

زمن للسقوط ـ وشعري
كوكب يرتقب
دعوة للهبوط الى آخر الجحيم" (أدونيس، الكتاب أمس المكان الآن، ٢٠٠٦م، مج١، ص ٢٠٣)

وفي الأبيات المذكورة أعلاه يرسم أدونيس وجعَه الناجم عن سقوط هويّته القوميّة وانحطاطها بمختلف أركانها مستخدمًا ألفاظ "وهن" و"دم" و"غضب" وعبارات "زمن للسقوط" و"المدائن ممهورة" حيث يرسم صور ملموسة للقارئ عن التخلّف والخراب لكنّه لم يكن متشائمًا بل متمرّدًا رافضًا لهذا الواقع.

نعم إنّه موقف رافض للزمان المصرّ على جحوده للإبداع. إنّه دعوة لإحياء الهويّة في زمن التفرقة والتخلّف حيث يخفي دائمًا الخشية من القادم الجديد. لكن مع المتنبي أو أدونيس لا بدّ أن تتحقّق المعجزة وأن يُنال المجد والهويّة بالكلمة وأن يتغيّر وجه العالم العربيّ عبر نبوّة القصيدة وهكذا تنعقد أعلى درجات التلاقي بين الشاعرين في نظر أدونيس". ومن جهة ثانية اتسع مداه مع المتنبي دون سواه، إنّه شاعر التيه لأنّه شاعر المجهول والمطلق، والسؤال عن المطلق حدود لا يجرؤ عليها غير المسكون بما هو أكبر من الزمن والمتنبي وهو وحده الشاعر المتهم بالنبوة في تاريخ الثقافة العربيّة، مصرٌ على كونه شاعرًا" (بنيس، مج ١٦، العدد ٢، ١٩٩٧م، ص ٢٧٣):

آيتي أنّني منهم، بشرٌ مثلهم
ولكنّني
أستضيء بما يتخطّى الضياء
آيتي انّهم

يقرأون الحروف، وأقرأ ما في الخفاء (أدونيس، الكتاب أمس المكان الآن، ٢٠٠٦م، مج١، ص ٢٥١)

تتوحّد هويّة الشاعر الفرديّة مع هوية المتنبي وكأنّهما يريدان أن يصنعا هويّة جديدة حيث يوظّف أدونيس عبارات "أنّني بشر منهم" ليرمز بها إلى قضيّة تهمة،

النبوّة لنفسه وللمتنبي من جهة، ومن جهة أخرى تتبادر إلى ذاكرتنا الآية القرانيّة "أنا بشرٌ مثلكم" (الكهف: ١١٠)، وبهذا يسعى أدونيس للحفاظ على الهويّة القوميّة والدينيّة وإعادة قراءتها.

يبدو هذا العمل الإبداعيّ على يد أدونيس سيرة ذاتيّة لأبي الطيّب المتنبي تتحرّك فيها سيرة أدونيس الذاتيّة (التقاء بين الهويّتَين) وتبدو عمليّة رسم الخريطة للحراك الجماعيّ نحو الهويّة والحفاظ عليها. وأيضًا يتحدّث عن تحوّلات الإنسان عبر المتنبي في عمليّة تكشف كلّ شكوك وظنون الشعر (اللغة كجزء من الهويّة القوميّة)، وهو يواجه العالم بلغته الخاصّة وهمومه الكبيرة، يقول أدونيس:

قلت لليلي ـ محمومًا بين خيام المعنى:
هل أكتب شعرًا أصهر فيه
وجه الغيب وأصهر فيه
قلق الأرض ـ خُطاه، طيوفه
أم لم أكتب شعرًا لا يقرؤه إلّا
أهل اللفظ وإلّا
جدران الكوفة؟
أصغى ليلي، لم يتكلم (أدونيس، الكتاب أمس المكان الآن، ٢٠٠٦م، مج١، ص ٦٤)

وفي سياقٍ متصل، لو محونا قرينة الكوفة في النصّ المذكور أعلاه على الرغم ممّا تحمله من دلالات رمزيّة بالغة لانصرفَ النصُّ عن تساؤلات المتنبي وهو يحرّك نصّه الشعريّ الكبير إلى فرادته المعروفة إلى تساؤلات أدونيس نفسه وهو يبشّر بمواجهة اللغة كهويّة في قرارة نصّه الشعريّ محدثًا كلّ الضجيج الذي ما زال محتدمًا حول موقفه من الشعر والهويّة والإنسان.

لكن الكوفة / الوطن / الإرث المعادل للماضي قد تتّحول عند الشاعرَين إلى موقف يحتاج الى تعبير مختلف كي يصوغ حاضره بشكل آخر، هكذا يتحد أدونيس بالمتنبي بالكوفة الرمز بشكل آخر تمامًا:

ليستِ الكوفةُ الآنَ حيث أراها

ما الذي يتغيَّرُ في الكون، لو تُهْدَم
الكوفةُ الحاضرةْ
لو تشظَّتْ وعادت حُفْنةً من هباءٍ؟
لا طريقٌ إلى الكوفةِ الغابرةْ
غيرُ تلك التي تتململُ فيها، وتجهَرُ: كلّا
ليستِ الكوفةُ الآنَ حيث تراها (المصدر نفسه، مج١، ص ١٠٠)

مع أنّ الكوفة عُدّت في الأبيات المذكورة أعلاه إرثًا من الماضي لكنّ أدونيس يرفض شروط الماضي ويسدّ طريق الرجوع إلى الكوفة القديمة والغابرة ويتقدّم نحو الحاضر بمشروعه المختلّف حيث أصبحت الكوفة رمزًا من الرموز القوميّة العربيّة بشكل جديد، ذلك لأنّ وعي الشاعر الحقيقيّ لهويّته لا يمكن له إلّا أن يكون مختلفًا وهذا ما وعاه المتنبي وأدركه أدونيس أيضًا:

لست ها هنا أو هنالك،
من ذلك العالم المنطفئ
قدماي تجيئان من طرقٍ
لم تجئ
أتقدّم في ظلمات المكان
ترجمانًا وضوءًا لهذا الزمان (المصدر نفسه، مج١، ص ١٠١)

ويصرح أدونيس في النصّ المذكورة أعلاه بأنّ هناك عالم منوّر ومضيء (الهويّة القوميّة المعاصرة) بعيد كلّ البعد عن ذلك العالم المنطفئ (لا هويّة أو عدم هويّة قوميّة منسجمة).

يقول الباحث ثائر زين الدين في هذا المسار: "إنّ أدونيس في النهاية ينجح في هذا التماهي بين أدونيس والمتنبي لعدّة أسباب أهمّها ذلك الإحساس من جانب أدونيس بالتشابه بينه والمتنبي وتشابه الحقبتَين التاريخيّتَين، والأهمّ هو توافق الرمز خارج الشاعر مع الرمز وداخله" (زين الدين، ١٩٩٩م، ص ٨٢). أي بعبارة أخرى يوظّف أدونيس شخصيّة المتنبي ليبرز هويّته الفرديّة والمتمرّدة إلى جانب هويّته

القوميّة والعربيّة في الحقبة التاريخيّة المعاصرة وليدعو الإنسانَ العربيّ للحفاظ على التراث.

٣-١-أبو نواس[١]:

مع المتنبي يزور أدونيس الشاعر أبا نواس الذي ولد من أبٍ عربيٍّ دمشقيٍّ وأمٍ فارسيّة في مدينة الأهواز[٢] ويوظّف أدونيس شخصيّته ويقول:

تائهٌ والنهار حولك دهر من الدِّمن
على وجهك الزمن
عارف أنّني وراءك في موكب الحجَر
خلف تاريخنا المواتْ
أنا والشعر والمطَرْ
ريشتي ناهدُ الجواري وأوراقي الحياةْ
خلّنا يا أبا نواسْ
الليالي تلفّنا بالعباءاتِ والدِّمنْ
وأحبّاؤنا طغاةٌ مراؤون كالسماءْ
خلِّنا للعذاب الجميل وللرّيح والشَّرزْ
نقتلُ البعث والرجاءْ
ونغنّي ونستجير ونحيا مع الحجَر
نحن والشعر والمطرْ
خلّنا يا أبا نواسْ

١. أبو نواس أو الحسن بن هانئ الحكمي الدمشقيّ الشاعر العربيّ من أشهر شعراء عصر الدولة العباسيّة. للمزيد من الاطّلاع حول حياته، انظر: موسوعة بريتانيكا على الموقع التالي:
http: / /www.britannica.com /biography /Abu -Nuwas

٢. الأهواز أو الأحواز هي عاصمة ومركز محافظة خوزستان، تقع جنوب غرب إيران، ويخترق المدينة نهر كارون، وهي ترتفع عن سطح البحر ٢٠ مترًا. وبحسب إحصاء العام ٢٠٠٦ بلغ عدد سكان مدينة الأهواز ١،٨٤١،١٤٥ نسمة. وهي بذلك أكبر مدينة في خوزستان. ذكرها شعراء العرب وتحدّثوا عن سكّانها العرب، وللمزيد عن تاريخ الأهواز في العصر الحديث، انظر: تقي زاده، محمّد، تاريخ اهواز از دوران باستان تا انقلاب اسلامی [تاريخ الأهواز من العهد القديم إلى الثورة الإسلاميّة]، نشر مؤسسهٔ فرهنگی هنری بشير علم و ادب [منشورات مؤسّسة البشير الثقافيّة الفنيّة للعلم والأدب]، ط.١، ١٣٨٤هـ.ش [٢٠٠٥م].

(أدونيس، الأعمال الشعريّة الكاملة، ١٩٩٦م، مج١، ص٣٠٩)

يحكي أدونيس قصّة انهيار الحضارة العربيّة وقوميّته مستخدمًا شخصيّة أبي نواس في القصيدة المذكورة أعلاه، ويشير إلى النقاط المشتركة بينه وبين أبي نواس وهو الشعر والتمرّد على الواقع المعيش مستخدمًا عبارات "أنا والشعر والمطر" و"ريشتي ناهدُ الجواري" حيث يتحدّث عن تمرّد أبي نواس الخاصّ وحبّه الجامح للجديد: "هذا يعني أنّ أبا نواس لا يرث، بل يؤسِّس، ولا يكمل، بل يبدأ. إنّه لا يعود إلى الأصل، إنّما يجد هذا الأصل في حياته ذاتها وبدءًا من تجربته. فهو ينغرس في اللغة وأصواتها، لا في الناطقين وأصواتهم. لذلك لا يكرّر الخطوات التي مشيها هؤلاء، وإنّما يفتح طريقه هو ويخطو خطواته هو. إنّه يُعيد، بدءًا من تجربته، تشكيلَ صورة العالم" (أدونيس، الثابت والمتحوّل، ١٩٨٦م ص١٠٩).

نستطيع أن نقول إنّ أبا نواس كان يريد خلق هويّة جديدة لنفسه وللغة العربيّة كجزء من الهويّة القوميّة العربيّة فهذا هو سرّ حضوره في شعر أدونيس لأنَّ أدونيس من خلال توظيفه يريد بناء هويّة قوميّة عربيّة بشكل جديد.

وفي سياق متصل، يتحدّث أدونيس عن "موكب الحجر" ويرمز به إلى الهويّة الضائعة للأمة العربيّة خلال التاريخ. وأيضًا يستخدم ألفاظ "عباءات" و"الدِّمَن" و"الحجر" إشارة إلى الهويّة العربيّة مستلهمًا ألبسة النساء العربيّات والحجر الأسود وحتّى الحديث النبويّ حيث يقول: "إِيَّاكُمْ وَخَضْرَاءَ الدِّمَنِ" (الشيخ الحرّ العامليّ، لا تا.، مج ١٤، ص٢٩)، وكلّها تعدّ جزءًا من القوميّة العربيّة.

والجدير بالذكر أنَّ أسطورة البعث تتجلّى دائمًا عبر استخدام الشخصيّات سواء أكانت أسطوريّة أو غيرها ضمن كتاب الغصن الذهبي في أشعار أدونيس حيث يقول في الأبيات المذكورة أعلاه "نقتلُ البعث والرجاء"، لكنّ أدونيس لا يريد البعث والرجاء من الأساطير بل يريد التمسّك بالطاقة الكامنة في الشعر كعنصر من عناصر القوميّة لإعادة الحياة في وريد الأمّة والوطن والهويّة.

على أيّ حال، لقد استخدم أدونيس شخصيّة أبي نواس رمزًا من رموز القومية العربيّة لإبراز هويّته الشخصيّة المتمرّدة. وفي سياق هذا التوجّه، يوظّف أدونيس

شخصيّة "بشّار بن برد" ليبرز هويّته القوميّة والعربيّة بمختلف زواياها ويُظهرها للإنسان العربيّ المعاصر كالآتي:

٤-١-بشّار بن برد :

هو شاعر مخضرم عاصر نهاية الدولة الأمويّة وبداية الدولة العباسيّة. وُلد أعمى، وكان من فحولة الشعراء (ضيف، تاريخ الأدب العربيّ (العصر العباسيّ الأوّل)، ١٤٢٦هـ.ق، مج٣، ص٢٠١-٢٠٤؛ الفحام، ١٩٨٣م، ص١١، ٣٥)، وبسبب خصاله الفريدة والمتشابهة مع أدونيس يهتمّ أدونيس به فيوظّفه في قصيدته المعنونة "مرثية بشار" حيث يقول:

لا تبْكه واتركْهُ للسوط وللخليفةِ المجنونْ
وسَمِّه الشّيطانَ أو فسمّهِ الطاعونْ
فَهْو هُنا، هناكَ لا يزالْ
يهدرُ في الشوارع الصمّاءْ
يهدرُ في أوارنا الخرساء
يهدر كالزّلزالْ.
وهو هُنا، هناك لا يزالْ
أعمى بلا أرضٍ ولا مدينة
يبحث عن لؤلؤةٍ زرقاءْ
تحفظها أشعاره الأمينة
للسّنة العجفاءْ
(أدونيس، الأعمال الشعريّة الكاملة، ١٩٩٦م، مج١، ص٣١٢)

يتحدّث أدونيس في الأبيات المذكوره أعلاه عن قصّة موت بشّار على يد الخليفة العباسيّ المهدي بتهمة الزندقة وأمر بضربه سبعين سوطًا فمات (ضيف، ١٤٢٦هـ.ق، تاريخ الأدب العربيّ (العصر العباسيّ الأوّل)، ص٢٠٦).

يوظّف أدونيس لفظ "أعمى" ليشير إلى بشّار ولفظ "الخليفة المجنون" ليشير إلى الخليفة العباسيّ أي المهدي، وهما رمزان من رموز القوميّة العربيّة يرسمهما

أدونيس لنا بصورة جديدة، إذ أصبح الخليفة مجنونًا وأصبح بشّار ثائرًا من الثوار أمام تخلف المجتمع حيث يريد بشّار هويّة جديدة لأمّته ويبحث عن لؤلؤة (الهويّة الضائعة والثمينة) ليحفظها للسنوات العِجاف (تحدّيات العصر). ويستخدم أدونيس عبارات "الشوراع الصمّاء" و"أوارنا الخرساء" ليشير إلى أمّة متخلّفة وبعيدة عن هويّته ويوظّف أدونيس عبارة "أعمى بلا أرض ولا مدينة" ليشير إلى بشّار كما قلنا لكنّه غير مقبول بين أمّته بسبب تمرّده مع أنّه ليس خائبًا ويبحث عن الهويّة.

من هذا المنطلق، نرى حركة أدونيس من الهويّة الفرديّة إلى الهويّة القوميّة والعربيّة ونجد نقاط تشابه بين الشاعرين (أدونيس وبشّار) من جهة الهوية الفرديّة. فكلاهما رافضَين للواقع بكلّ زواياه لا سيّما زواياه الاجتماعيّة والدينيّة والسياسيّة. يقول أدونيس عن تمرّد بشّار: "ولا تقتصر أهميّة بشّار على الناحية الفنيّة في شعره وإنّما تشمل أيضًا موقفه الفكريّ العام. فقد رفض التقاليد الاجتماعيّة السائدة، مشكّكًا فيها، ساخرًا منها في بعض الأحيان، وساخرًا من العقائد والسلطة التي تمثّلها، معلنًا عقيدته الخاصّة" (أدونيس، الثابت والمتحوّل، ١٩٨٦م، ص١٠٧).

ومن هذا المنطلق، نستطيع أن نقول بأنْ أدونيس ينطلق من الدائرة الرمزيّة التنشيطية التي تحملها توظيفات الشخصيّة الأدبيّة في نصّه الى مساحة التماهي اللامحدود إلى درجة يصعب فيها التفريق بين الشخصيّة الأدبيّة وشخصيّة كاتب النصّ مطلقًا كما يظهر في كتابه (الكتاب) إذ يتحد أدونيس بشخصيّة الشاعر أبي الطيّب المتنبي إلى درجة لا يمكن التفريق فيها بينهما إلّا عبر البحث عن إشارات أو تلميحات تعود بالفصل لكنّها ما تلبث أن تعود الى منطقة التوأمة والاتحاد بين الشخصيتين "إن أدونيس يخلق شيئًا جديدًا من دون ريب في الجزئيّات والكليّات من شعره حين يُحدِث علاقاتٍ ودلالاتٍ وصورًا تحمل وسمَه وذاتيّته" (عبّاس، إحسان، ١٩٩٨م، ص ١١٢).

٥-١- امرؤ القيس:

أمرؤ القيس من قبيلة كندة وهي قبيلة يمنيّة هاجرت جماعة كبيرة منها إلى الشمال. أصبح أمرؤ القيس من فحول الشعراء العرب ويندمج في حياته بالأسطورة

(ضيف، تاريخ الأدب العربيّ (العصر الجاهليّ)، ١٤٢٦هـ، ص٢٣٢-٢٣٦). هناك تشابة بين شخصيّته وحياة شاعرنا أدونيس الذي يوظّف شخصيّته في دواوينه وبهذا تنتقل الشخصيّة الأدبيّة في نصّ أدونيس عبر الأزمنة في تجذيرٍ لكينونة الهويّة العربيّة. لقد قدّم الشاعر العربيّ كزاوية من زوايا الهويّة القوميّة والعروبة أيضًا وبهذا يحتلّ الشاعر في العصر الجاهليّ موقعه في نصّ أدونيس بدءًا بامرئ القيس (العسل، ٢٠٠٧م، ص١٠٨) بوصفه من فحول الجاهليّة. يعدُّه أدونيس من المقدّمين من الطبقة الأولى، وفي شعره رقّة اللفظ وجودة السبك وبلاغة المعاني، سبق الشعراء إلى أشياء ابتدعها واستحسنتها العرب واتبعه عليها الشعراء لكنّه منذ البداية سيبقى يعيش ثنائيّة متصارعةً بين مركزيّة الشاعر والشعر في نظر أدونيس وبين هامشيهما بفعل متطلّبات الواقع الفعليّ أو لنقل بين واقعهما الحقيقيّ الذي يفترض أن يفعلاه وبين ما يراد لهما إذ يبدو الشاعر الجاهليّ في نظر أدونيس نبيًا ثائرًا مؤثرًا في الزمان والمكان لاحقًا، فيقول في قصيدة (الهامش):

كي يظل أمرؤ القيس وعدًا
ويكون لعروة أن يطعم الفقراء،
رسم الغاضبون خطاهم
لهبًا واختراقًا،
وأباحوا الفضاء (أدونيس، الأعمال الشعرية، ١٩٩٦م، مج١، ص ٤٩٥)

يتحدّث أدونيس في الأبيات المذكورة أعلاه عن أمرئ القيس أحد كبار الشعراء العرب الذي أصبحت بعض قصائده من الأمثال في الثقافة العربيّة ومنها "أحسن من قفا نبك" (أمين، ٢٠٠٨م، ص٢٦٠)، ويصفه بصفة الوعد كأنّه منجّي العرب وهويّته لكنّه لم يصل بعد إلى هدفه حيث لم يتمكن أمرؤ القيس كشخصيّة أدبيّة حقيقيّة في تاريخ العرب من استعادة ملك أبيه.

وأيضًا يستخدم الشاعر شخصيّة عروة من الشعراء الصعاليك ليشير إلى ركن آخر من أركان تراثه القوميّ-العربيّ من جهة، ومن جهة أخرى أشار أدونيس إلى شعبه وأمّته الفقيرة والمسكينة بعبارة "أن يطعم الفقراء". هكذا يوظّف أدونيس شاعرَين

مـن العصـر الجاهليّ فـي نتاجه الشـعريّ للحفـاظ على تراثـه وهويّته.

٦-١-الشنفري:

يقـدّم أدونيس في (الكتاب) الشـاعر الجاهلـيّ في صورة احتفاليّـة محضة وهو يقدّم ضيـوف الشـعراء فـي الكتـاب / المتنبـي / أدونيس [الكتـاب] في صـورة تتكامل عبر التناصّ اللفظي والتاريخيّ ومنها شـخصيّة الشـنفري الشـاعر الجاهليّ[١] (انظر ضيف، تاريـخ الأدب العربـيّ (العصـر الجاهلـيّ)، ص٣٧٩) فيقـول أدونيـس فـي قصيـدة (الشنفري):

"من أعالي الكلام
نزل الشنفري
يتقرّى الفضاء، يطيب وجه الثرى
ويُهيّئ للجائعين الوليمة .أحلامهم
وارفات، تغطي مراراتهم
وتغطي الخيام (أدونيس، الكتاب أمس المكان الآن، ٢٠٠٦م، مج١، ص٤٣)

وفـي القصيـدة المذكـورة أعـلاه يوظّـف أدونيـس شـخصيّة الشـنفري بصورة مباشـرة حيـث يذكـر اسـمه بعبـارة "نـزل الشـنفري" (رمـز التمـرّد والبعـث) مـن ذروة الـكلام واللغـة (جـذر من أهم جـذور الهويّة العربيّة) وينشـر بمجيئه رائحة المسـك والعبير في الفضـاء ويقـدّم الطعـام للجائعيـن (أمّة جائعـة لتعرّف هويتهـا)، والطعام ليـس طعامًا ماديًـا ليشـبع البطـون بـل هو رمـز الحياة.

وبهـذا التصويـر الفنـيّ الرائـع قـام أدونيـس بإحياء التـراث بناءً علـى قوميّتـه وعروبته وأصبـح أدونيـس الـراوي المقنّـع لأمّتـه المعاصـرة لينفـخ روح البعـث فـي جسـدها وتشـجيع أبنائهـا علـى إعـادة الأمجـاد والتـراث الأدبـيّ.

وتشـغل الشـخصيّة الأدبيّـة مـن العصـر الجاهلـيّ إلـى العصـر العباسـيّ أدونيسَ في نصّـه لتمثّـل حواريّـة مهمّة في دلالاتها عبر ما يمثّله الشـاعر في نظر أدونيس من حجم

١. كان من عشيرة الأوس بن حجر الأزديّة اليمنيّة، فهو قحطانيّ النسب، ويعدّ من الشعراء الصعاليك، واسمه يعني الغليظ الشفاه.

ثقافيّ ومن صراع فكريّ بين فكرتَي المركز والهامش وانطلاقًا من وعي يتحرّك في إطار الجدل الأدبيّ بين الجدّة والقدم، بين الأصالة والحداثة على نحو يتقدّم الى مضامين أشدّ أهميّة في ردّات فعل الشعراء من أصول غير عربيّة إذ يشتغل نصّ أدونيس على هذه الشخصيّات الأدبيّة بفاعليّة تُظهر الصراع والجدل بين الهويّات والقوميّات فيقول:

.أ

(هو للمحدثين

كامرىء القيس للأقدمين) (أبو عبيدة)

.ب

(ليته لم يكن ماجنًا

إذن كنت آخذ علمي منه) (الإمام الشافعي)

.جـ

. . .

أوّل من أخرج الشعر من داره البدويّة

أعطاه سرًا جديدًا وسحرًا جديدًا

وهو بدء لهذا الأبد

.د

(لو تقدّم في الجاهلية

لم يتقدّم عليه أحد) عمرو بن كلثوم العتابي (المصدر نفسه، مج٢، ص١٢٥)

يوظّف أدونيس في النصّ المذكورة أعلاه شخصيّات أدبيّة عدّة من التراث العربيّ ومنها: "امرؤالقيس" و"أبو عبيدة" و"الشافعيّ" و"عمرو بن كلثوم" حيث يريد أدونيس قراءة ونشر تراثهم الأدبيّ من الجاهليّة إلى العباسيّة على أساس هويّتهم القوميّة والعربيّة. بناءً على ما سبق، إنَّ المرجعيّة الثقافيّة الأدبيّة العربيّة تشكّل الحضور الأهمّ لا سيّما الشعراء في تقديم الشخصيّة الأدبيّة في نصّ أدونيس حيث نجد توظيفًا لهذه المرجعيّة الأدبيّة في إطارها العربيّ والقوميّ عبر استحضار

شخصيّات الشعراء الذين يشكّلون الحضور الأكبر في نصّ أدونيس على مستوى إنسانيّة الشعروتوحّد أرواح الشعراء في العالم العربيّ على نحويجعل أدونيس بحدّ ذاته عبارة عن بقايا أجزاء لشعراء مختلفين قد تفرّقهم الأزمنة وقد تباعد بينهم الأمكنة لكنّهم في النهاية يلتقون في طقوس الشعرونبوآته ومواقفه وفي كلّ الأحوال فهم نتاج فئويّ مشترك لكلّ معطيات الحضارات الإنسانيّة والعربيّة.

١-٢-سيبويه[١]

إنّ الشخصيّة الأدبيّة لا تقتصر في حضورها في نصّ أدونيس على فئة الشعراء فقط إذ قد نجد توظيفًا لشخصيّات أدبيّة من غير فئة الشعراء فيوظّف أدونيس شخصيّة سيبويه مستندًا الى مرجعيّته اللغويّة والقصصيّة حيث يقول أدونيس:

لغةٌ - فتنةٌ
غير أنّ بنيها وأحفادهم
أسلموا جسمها
لرطوبة أيّامهم
شَرَري موثّقٌ بأحوالِها وناريَ في سفَرٍ كاسرِ
كي أعاشرَ أسرارَها،
أتقصّى مداها
في هوَى آسِرِ (المصدر نفسه، مج٢، ص١٢٤)

في هذه القصيدة التي عنوانها "سيبويه" يتحدّث أدونيس عن سيبويه بدلالات عدّة ومنها "اللغة" و"الفتنة" حيث تشير لفظة "اللغة" الى اختصاص سيبويه بعلم اللغة والصرف والنحو كونه أحد كبار مؤسّسي النحو العربيّ بكتابه المعروف بـ"الكتاب"، ويوظّف لفظة "فتنة" بمعانٍ عدةٍ ومنها "نوع من الشجر السَّنْط أصفرُ الزهرِ عَطِرُهُ" (البستاني،١٩٩١م. مادّة فتنة: ص٨٠٦)، وأيضًا يوحي بمعنى "الاختبار

١. سيبويه (١٤٨ - ١٨٠هـ / ٧٦٥ - ٧٩٦م) عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، يُكنى أبو بشر، لقبه سيبويه أي رائحة التفاحة، وهو أول من بسّط علم النحو. وُلد في قرية البيضاء في بلاد فارس. نشأ سيبويه بالبصرة بعد أن رحلت أسرته من بلاد فارس إليها... عاد إلى فارس، ولم يعد إلى البصرة. توفّي في مدينة شيراز ودُفن فيها حاليًا في الحيّ المعروف بـ«سنگ سياه [الحجر الأسود]». للمزيد من الاطّلاع، انظر: الحمَوي، ياقوت، أبو عبد الله، معجم البلدان، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، مج٣، ١٩٩٠م.

والابتلاء وما يقعُ بين الناس من اختلاف في الرأيِ يجعلهم يتطاحنون ويتقاتلون" (المصدر نفسه، ص.ن). والمعنى الأوّل يلهمنا اللغة العربيّة بكلّ لهجاتها حيث يترعرع في البلاد العربيّة وفي كلّ أنحاء العالم وبهذا أشار أدونيس إلى عظمة لغته القوميّة والدينيّة.

وأمّا المعنى الثاني فيلهمنا ما جرى من الخلاف بين سيبويه والكسائي في المسألة المعروف بـ"الزنبوريّة" (انظر: سيويه، الكتاب (مقدمة: إميل بديع يعقوب)، ١٤٢٠هـ.ق، ص١٣-١٧). وبهذا أشار أدونيس إلى شخصيّة سيبويه العلميّة واهتمامه بتراث الأدب العربيّ حفاظًا عليه وعلى الهويّة القوميّة العربيّة.

وفي سياق هذا التوجّه، يوظّف أدونيس شخصيّة "الفرّاء" و"الجاحظ" و"الأصمعي" و"أبي علي الفارسي" و... في ديوانه "الكتاب أمس المكان" داعيًا الجيل الحالي وأجيال المستقبل لإعادة قراءة الشخصيّات الأدبيّة في مسار التركيز على الهويّة القوميّة.

يُطلعنا الجدولُ التالي على عدد المرّات التي ذكر فيها الشاعر أدونيس الشخصيّات الأدبيّة:

	الشخصيّات الأدبيّة والفنيّة	عدد الأمثلة والشواهد
١	أبو تمام	٦
٢	أبو نواس	٥
٣	امرؤ القيس	٤٠
٤	أخطل	٢
٥	طرفة بن العبد	٤
٦	تأبط شرًا	٤
٧	النابغة الذبياني	١
٨	عنترة بن شداد	٢
٩	المهلهل	١

١٠	عروة بن حزام	١
١١	عدي بن زيد العبادي	١
١٢	الحطيئة	١
١٣	الشنفري	٢
١٤	عبيد الأبرص	١
١٥	تميم بن مقبل	١
١٦	المرقش الأكبر	١
١٧	الأعشى الأصغر	١
١٨	المنخل اليشكري	١
١٩	بشار بن برد	٤
٢٠	المعرّي	٤
٢١	المتنبي	٣٠
٢٢	عمربن أبي ربيعة	٤
٢٣	الفرزدق	١
٢٤	جميل بثينة	١
٢٥	أبوالحسن البكري	١
٢٦	الحسين بن الضحاك	١
٢٧	سيبويه	١
٢٨	ابن المعتز	١
٢٩	ابن الرومي	١
٣٠	البحتري	٢
٣١	أبوالعتاهية	٢
٣٢	أبوعلي الفارسي	١
٣٣	ابن خالويه	١
٣٤	أبوفراس	٣

٣٥	عبد العزيز بن يوسف	١
٣٦	الزاهي علي بن إسحاق	١
٣٧	ابن جني	١
٣٨	حماد عجرد	١
٣٩	ابن السِّكِّيت	١
٤٠	السيد الحميري	٢
٤١	الأصمعي	١
٤٢	عبد الواحد بن علي الحلبي	١
٤٣	الصاحب بن عباد	١
٤٤	صالح بن رشيدين	١
٤٥	الفرّاء	١
٤٦	الكسائي	١
٥٤	الجاحظ	١
	مجموع الشواهد	١٤٧

يُبيِّنُ الجدولُ المذكور أعلاه أنّ شاعرنا علي أحمد سعيد يهتمّ بشعراء الجاهليّة أكثر من الشخصيّات الأخرى حيث تحتلّ شخصيّة الشاعر امرئ القيس المكانة الأولى في هذا الإحصاء. أيضًا يحتلّ شعراء الجاهليّة الرتبة الأولى بين باقي الشعراء. وبعد امرئ القيس تحتلّ شخصيّة المتنبي المكانة الثانية بين الشعراء فقد ذكره أدونيس ٣٠ مرة وهذا الأمر إشارة إلى اهتمام أدونيس بالشاعريَن المذكورَين أكثر من الشخصيّات الأدبيّة الأخرى.

نتيجة البحث:

يهتمّ الشاعران أخوان ثالث وأدونيس بالتراث الأدبيّ خاصّة الشخصيّات الأدبيّة كجزء لا يتجزّأ من الهويّة القوميّة.

كما رأينا، يهتمّ الشاعران بالشخصيّات الأدبيّة لا سيّما بالشخصيّات الأدبيّة

المتمرّدة .على سبيل المثال يهتمّ أخوان بالخيّام والفردوسيّ، ويهتم أدونيس بالمتنبي وبشّار وغيرهما من الشخصيّات المتمرّدة.

يهتمّ كلاالشاعرين بشعراء القوميّة أكثرمن الشعراء الآخرين حيث تأثّرأخوان بشخصيّة الفردوسي وملحمته "الشاهنامة" وصبّ جلّ اهتمامه على الشخصيّات القوميّة كرستم وزال وسهراب من الأبطال القوميّين الفرس المستمدّة من الشاهنامة، في حين يستخدم أدونيس الشخصيّات القوميّة من الأساطيرالشاميّة والفينيقيّة وليس من خلال الملاحم العربيّة.

يهتمّ أدونيس بالشخصيّات الأدبيّة من خارج فئة الشعراء أيضًا أمثال الجاحظ والفرّاء و. ..ليبرز هذا الوجة المهمّ من هويّته القوميّة والعربيّة والحفاظ عليها. وهكذا يوسّع دائرة اهتمامه بالتراث بناءً على قوميّته وحبّه لها، في حين أنّ الشاعرالإيرانيّ أخوان لم يهتم بالشخصيّات الأدبيّة من خارج فئة الشعراء إلّا قليلًا.

إحصائيًّا، ذكرأخوان اسم الفردوسي ٨ مرّات أي أكثرمن أيّ شخصيّة أدبيّة أخرى حيث نظيره العربيّ أي أدونيس ذكراسم المتنبي ٣٠ مرّة واسم الشاعرالجاهلي ٤٠ مرّة أكثرمن أيّ شخصية أخرى وهذا الأمريبين أهميّة القوميّة عند الشاعرين أيضًا.

المصادر والمصادر:

ألف) المصادر والمنابع العربية:

القرآن الكريم

١. ابن فارس، أبوالحسن، (١٣٦٦هـ.ق)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي.

٢. ابن خلكان، (١٩٧٥م)، وَفَيات الأعيان وأنباء الزمان، بيروت: دار الرائد العربيّ.

٣. ابن كثير، (١٩٩٠م)، البداية والنهاية، بيروت: منشورات مكتبة المعارف.

٤. أدونيس، (٢٠٠٦م)، الكتاب أمس المكان الآن، الطبعة الثانية، بيروت: دار الساقي.

٥. أدونيس، (١٩٩٦م)، الأعمال الشّعريّة الكاملة، دمشق: دار المدى للثقافة والنشر.

٦. أدونيس، (١٩٨٦م)، الثابت والمتحوّل (بحث في الإتّباع والإبداع عند العرب)، مج٢، ط٤،

بيـروت: دار العودة.

٧. أمين، مصطفي والجازم، علي، (٢٠٠٨م)، البلاغة الواضحة، القاهرة: دار المعارف.

٨. البستاني، عبد الله، (١٩٩١م)، البستان (المعجم اللغوي المطول)، بيروت: مكتبة لبنان.

٩. بنيس، محمّد، (١٩٩٧م)، أدونيس ومغامرة الكتاب، مجلة الفصول، مج ١٦، العدد ٢.

١٠. البياتيّ، عبد الوهّاب، (١٩٨١م)، الشاعر المعاصر والتراث، مجلة فصول، العدد ٤.

١١. تاوريريت، بشير، (٢٠٠٩م)، أدونيس في ميزان النقد (أربع مسائل خلافيّة بين أدونيس ومعارضيه) بيروت: عالم الكتب.

١٢. الحرّالعامليّ، الشيخ محمّد بن حسين، (لاتا)، وسائل الشيعة في تحصيل مسائل الشريعة، قم: درا النشر: مؤسّسة آل البيت لإحياء التراث.

١٣. حسين، طه، (٢٠١٣م)، مع أبي العلاء في سجنه، مصر: دار المعارف.

١٤. الحمَوي، ياقوت، أبو عبد الله، (١٩٩٠ م)، معجم البلدان، بيروت: دار الكتب العلميّة.

١٥. الرماني، إبراهيم، (١٩٩١م)، الغموض في الشعر العربيّ، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعيّة، ساحة بن عكنون.

١٦. زين الدين، ثائر، (١٩٩٩م)، أبو الطيب المتنبي في الشعر العربيّ المعاصر، دمشق: منشورات اتحاد الكتّاب العرب.

١٧. سيويه، (١٤٢٠هـ.ق)، الكتاب (مقدمة: إميل بديع يعقوب)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

١٨. ضيف، شوقي، (١٤٢٦هـ.ق)، تاريخ الأدب العربيّ (العصر العباسيّ الأوّل)، ط١، إيران، قم: منشورات ذوي القربى.

١٩. ضيف، شوقي، (١٤٢٦هـ.ق)، تاريخ الأدب العربيّ (العصر الجاهليّ)، ط ١، إيران، قم: منشورات ذوي القربى.

٢٠. عبّاس، إحسان، (١٩٩٨م)، اتجاهات الشعر العربيّ المعاصر، بيروت: دار النشر عالم المعرفة.

٢١. عباس، عبدا لجبار، (١٩٧٢م)، السيّاب، بغداد: دار الشؤون الثقافيّة العامّة.

٢٢. عزام، محمّد، (٢٠٠٨م)، اتجاهات التأويل النقديّ من المكتوب الى المكبوت، دمشق:

الهيئـة العامّـة السـورية للكتـاب، وزارة الثقافة.

٢٣. العسـل، عصـام، (٢٠٠٧م)، الخطـاب النقديّ عند أدونيس؛ قراءة الشـعر أنموذجًا، بيروت: دار الكتب العلميّة.

٢٤. عليان، جمال، (لاتا)، الحفاظ على التراث الثقافي، الكويت: سلسلة عالم المعرفة.

٢٥. الفحام، شاكر، (١٩٨٣م)، نظرات في ديوان بشار، دمشق: مجمع اللغة العربية.

٢٦. المتنبي، (١٩٨٠م)، الديوان، شرحه عبدالرحمن البرقوتي، بيروت: دار الكتاب العربي.

ب) المصادر والمراجع الفارسية

١. أخوان ثالث، مهدي، (١٣٩١هـ.ش)، أرغنون [الناي]، طهران: منشورات زمستان.

٢. أخوان ثالث، مهدي، (١٣٩١هـ.ش)، سه كتاب [الكتب الثلاثة]، طهران: منشورات زمستان.

٣. أخـوان ثالـث، مهـدي، (١٣٩١هـ.ش)، تـرا اى كهـن بـوم و بـر دوسـت دارم [أحبـك أيهـا الوطـن العريـق]، طهـران: منشـورات زمسـتان.

٤. أخـوان ثالـث، مهـدي، (١٣٩١هـ.ش)، از ايـن اوسـتا [مـن هـذا الأفسـتا]، طهـران: منشـورات زمسـتان.

٥. تقـي زاده، محمّـد، (١٣٨٤هـ.ش) [٢٠٠٥م] ، تاريـخ اهـواز از دوران باسـتان تـا انقـلاب اسـلامى [تاريخ الأهواز من العهد القديم إلى الثورة الإسـلاميّة]، ط١، نشـر مؤسسـهٔ فرهنگى هنرى بشـير علم و ادب [منشـورات مؤسّسـة البشـير الثقافيّة الفنيّـة للعلم والأدب].

٦. حافـظ، شـمس الديـن محمـد، (١٣٨٧هـ.ش) [٢٠٠٨م]، ديـوان، تصحيـح غنـي والقزوينـي، طهـران، انتشـارات ققنـوس.

٧. رسـتگار الفسـائي، منصـور، (١٣٨٤هـ.ش) [٢٠٠٥م]، فردوسـى و شـاعران ديگـر [الفردوسـي والشـعراء الآخـرون]، طهـران: منشـورات طـرح نـو: مركـز بيـن المللـى گفتگـوى تمدنهـا.

٨. سـعدي، (١٣٦٩هـ.ش) [١٩٩٠م]، بوسـتان [البسـتان]، تصحيح غلامحسـين يوسـفي، طهران: منشـورات الخوارزمي.

٩. صفـا، ذبيـح الله، (١٣٧٢هـ.ش) [١٩٩٣م]، تاريـخ ادبيات در ايران [تاريـخ الأدب في إيران]، ط ١٣، طهران: منشـورات فردوس، ج١.

١٠. طاهبـاز، سـيروس، (١٣٧٠هـ.ش) [١٩٩١م]، بدرودى بـا مهدى اخوان ثالث و ديدار و شـناخت

م.اميـد [وداع لأخـوان ثالث ولقـاءٌ وتعرّف على م. أميـد]، طهران: منشـورات گردآورده.

١١. كاخـي، مرتضـى، (١٣٧٠هـ.ق) [١٩٩١م]، باغ بـى برگى (يادنامه اخوان ثالث)[بسـتان بلاأوراق (تخليد أخوان ثالث)]، طهران: منشـورات ناشـران.

ج) الصحف والمجلات:

العربية:

١. درويش، أسيمة، (١٩٩٧م)، تحرير المعنى، مجلّة الفصول، مج١٦، العدد ٢، خريف.

٢. معـلا حسـن، محمـد، (٢٠٠٨م)، التوظيـف التراثيّ فـي شـعر أدونيـس، مجلـة جامعـة تشـرين للبحـوث والدراسـات العلميـة.

الفارسية:

٣. إسـماعيلي، أصغـر، (١٣٩١هـ.ش) [٢٠١٢م]، مقالـة "فردوسـى و اسـتادان معاصـر" [الفردوسـي والشـعراء المعاصـرون]، فصلنامـه كتـاب ماه (ادبيـات) [فصليّة كتـاب الشـهر (الأدب)]، طهران: العدد٦٢.

٤. حسـن لـي، كاووس وحسـام بـور، سـعيد، (١٣٨٨هـ.ش) [٢٠٠٩م]، كارنامـه ى خيـام پژوهـى در سـده چهـارم [خلفيّـة الأبحاث عن الخيّام في القـرن الرابع]، فصلنامه پژوهش زبان و ادب فارسـى [فصليّـة البحـث فـي اللغة الفارسـيّة وآدابها]، طهـران: العدد ١٤.

٥. سـرامي، قدمعلـي و رضائـي برويـن، (١٣٩٢هـ.ش) [٢٠١٣م]، بازتـاب حيـرت خيـام در ادبيات فارسـى [انعـكاس روعـة الخيّـام في الأدب الفارسـيّ]، دانشـكده ادبيات و علوم انسـانى دانشـگاه اصفهان [كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة في جامعة إصفهان]، العدد ١.

٦. محسـني نيـا، ناصـر، ١٣٨٩هـ.ش [٢٠١٠م]، خيام پژوهى بـا تكيه بر جهان معاصر عرب [دراسـة الخيّام اسـتنادًا إلى العالم العربيّ المعاصر]، دانشـكده ادبيات و علوم انسـانى دانشـگاه اصفهان [كليّـة الآداب والعلوم الإنسـانيّة في جامعـة إصفهان]، العدد ٣.

د) المصادر الإلكترونية:

1 - http//www.kalam.se/t-akhavan-05-rend.htm.

2 - www. Diwanalarab.com/spip.php?page=article & id_article=23512

3 - http://www.britannica.com/biography/Abu-Nuwas